في المصطلح الأدبي

« علم الأدب »

... إن علم الأدب يسعى لبحث الضوابط والقوانين والطرق، إنه لا يسعى أن يكون جزءاً من العملية الأدبية، كما لا ينبغي أن يؤثر على ما يجري في الأدب، فهو لا يرفع ولا يحط ولا يوجّه، إنه علم وصفيّ..

بقلم الأستاذ :
ياسين كتانة

هناك تمايز واضح بين المصطلحين ، العلم وموضوع النظر ، فالأول علم والثاني هو مجموعة من الظواهر التي ينظر فيها العلم والتي تعتبر موضوعه .

قامت محاولات متعددة لطمس هذا التمايز، كمن احتج بأن من المتعذر على الشخص فهم ودراسة الأدب إذا لم يكتبه فعلاً، ولكن على الرغم من أهمية التجربة الأدبية بالنسبة لباحث الأدب إلا أن ذلك ليس له قيمة بالنسبة لطبيعة مهمة الباحث الأدبي المختلفة تماماً ، والتي تتلخص في الهدف الذي يسعى إليه ، وهو كشف الانضباطية في الأدب بأقصر الطرق ـ حد أدنى من القوانين لحد أعلى من الظواهر .

إن علم الأدب يسعى لبحث الضوابط والقوانين والطرق ، إنه لا يسعى أن يكون جزءاً من العملية الأدبية كما لا ينبغي أن يؤثر على ما يجري في الأدب، فهو لا يرفع ولا يحط ولا يوجه ، إنه علم وصفيّ (Descriptive) يحصر نفسه في إطار وصف وتحليل ظواهر الأدب .

إذن، فليس موضوع هذا العلم مقتصراً على النصوص ، وإنما هو مهتم فوق ذلك بالظواهر التي تكون النصوص أحد تجلياتها .

١) **النظرية** (Theory) ـ وهي أساس كل علم ، والتي هي عبارة عن حشد من فرضيات (Hypothesis) قابلة للتقوية أو النقض .

٢) **البحث** (Research) ـ وهو عبارة عن النظر (بالمعنى المجازي) في موضوع النظر .

هكذا رأينا أننا بصدد فعاليتين مختلفتين، والخلط بينهما يعني الجهل في فهم طبيعتيهما. لقد فهم الكثيرون ـ خاطئين ـ أن الاصطلاح «علم الأدب» يعني بأن الأدب هو علم .

إن المصطلح علم الأدب (Literaturwissenschaft) ـ كما هو في أكثرية اللغات الأدبية ـ يعني أنه علم ينظر في الأدب كما أن علم النفس علم ينظر في النفس الإنسانية، وعلم الاجتماع ينظر في المجتمع ... وهكذا .

ومن هنا يتوجب الفصل بين العملية التي تنظر ـ والتي هي علم بذاتها ـ وبين العملية التي هي موضوع هذا النظر وهو الأدب .